العرب
السبت 2019/08/03
السنة 42 العدد 11427

صوت حكايات الجدات يخفت في عصر الوسائط الرقمية

الأطفال يفضلون مشاهدة المغامرات بدل سماعها عن طريق الحكاية

لم تعد الحكايات القديمة التي ترويها الجدات مقنعة لأبناء الجيل الحالي الذي نشأ في زمن الوسائط التكنولوجية ذات الإمكانيات الهائلة في تقديم القصص وتجسيدها وسردها. فالتطور التكنولوجي وطبيعة عصر السرعة جعلا قصص الجدات مملة بالنسبة للأحفاد وغير مقبولة في نظرهم في ظل توفر البدائل البصرية الأكثر إثارة.

مجلس الجدة ينفض من حولها

مصطفى عبيد
كاتب مصري

القاهرة – أصبح التواصل بين الأجيال المختلفة داخل الأسرة الواحدة صعبا في ظل التطور السريع للتكنولوجيا، وربما غابت لغة التفاعل في ظل التباين الواضح في شكل الاهتمامات، وهو ما ظهر بجلاء في حكايات الجدات لأحفادهن.

كان الأحفاد قديما يستعذبون لحظات صافية يجلسون فيها إلى جوار جداتهم ليسمعوا منهن حكاية لذيذة عن الشاطر حسن وأمنا الغولة، فعرفوا أن هناك خيرا وشرا في الحياة، وصراعات دائمة بينهما، وشخصيات تعمل لصالح الإنسان ورفاهيته وأخرى تجره للوراء.

> الوسائط التكنولوجية تمنح الصغار حق الاختيار بين قصة وأخرى بينما يفقدون ذلك في القصص المروية عبر آخرين

ولا يقتنع الأحفاد الآن بهذه النوعية من حكايات الجدات، ويرونها غير معقولة وغير مقبولة وربما مملة بالنسبة لهم، لأنها بعيدة عن الواقع، وأيضا لأن الوقت وطبيعة الحياة لم يعودا يوفرا ترف الجلوس وقضاء أكثر من ساعة في الاستماع لقصص ومغامرات يجدون لها بديلا بصريا وأكثر إثارة عبر وسائط التكنولوجيا.

قالت نورهال صلاح، وهي طفلة تبلغ من العمر 11 عاما، لـ"العرب"، إنها لا تحب حكايات الجدات وتراها بعيدة تماما عن الواقع، وتصيبها أحيانا بانفصام في الشخصية. ما تقصده الطفلة لا يعني نفورها من قصص الخيال، لأن جميع حكايات الأطفال كذلك، لكن شعورها أن هذا الخيال دخيل على تفكيرها وزمنها وأقرب للحياة البدائية، حيث لا توجد في تلك القصص إمكانية للتواصل عبر الفايبر أو الواتساب، أو أي شيء يدل على وسائل التكنولوجيا المتطورة في العصر الحديث.

ويلاحظ البعض أن الأطفال لم يعودوا تواقين لسماع حكايات الجدات، ويسخرون غالبا منها في ما بينهم، ويرونها خارج عجلة الزمن، وتصيبهم بالدوار لأنها محفوظة عن ظهر قلب وتدور في عصور سابقة ربما لم يتم فيها اختراع العجلة.

وأكدت سناء محمد، وهي ربة منزل تعيش في حي المقطم، في القاهرة ولديها ستة أحفاد، لـ"العرب"، أن الأطفال يطرحون الكثير من الأسئلة المنطقية عند سماع الحكايات التقليدية، ولم تكن تفكر فيها من قبل، ولم تجد إجابات مقنعة لها، ما جعلها تشعر بعدم ترحيب أحفادها بالحكي الذي كانت بارعة فيه واكتسبته من جدتها.

واستغربت تكرار أسئلة "كيف" و"لماذا" من أطفال صغار لم يتجاوزوا السابعة والثامنة من أعمارهم، والمشكلة أنها تقف عاجزة عن الرد أحيانا.

وترى أن الجيل الجديد من الأطفال لا يقبل القصص المتعارف عليها عالميا، مثل سندريلا وغوليفر وأوليفر تويست، كما كان يفعل جيل الآباء والأمهات، مؤكدة أن هذا الأمر جدير بالبحث والمتابعة لأنه يُعبر عن انفصال حقيقي داخل الأسرة.

ويعتقد بعض الخبراء أن السبب في نفور الصغار من قصص الجدات قد لا يرتبط بعدم منطقية القصص أو بعدها عن الزمن فقط، وإنما هناك أسباب تتعلق بتطور وسائط الحكي وتأثيرها على أفراد الأسرة.

ويشير هؤلاء إلى أن سهولة عرض الحكايات على الأطفال عبر أجهزة "التابلت" (اللوح الرقمي) والمحمول تساهم بشكل كبير في تفضيل الرؤية المباشرة عن فكرة التلقي عبر السماع، والعروض، سواء كارتونية أو تمثيلية، تعد أقرب وأكثر تأثيرا من حكايات بعيدة تُعبر عنها الجدات بكلمات غير متداولة داخل الأسرة.

ويُدلل على صحة ذلك، ما حققه فيلم "علاءالدين" في نسخته الخامسة، إخراج جاي ريتشي، وبطولة ويل سميث والفنان الكندي من أصل مصري مينا مسعود، من نجاح كبير بعد أسابيع قليلة من قيام شركة "ديزني" بعرضه في العديد من الدول العربية، رغم أن القصة متداولة ومعروفة لدى الجميع منذ عقود طويلة.

وتقدم سلوى ممدوح، ربة منزل ولديها أربعة أطفال وتقطن في وسط القاهرة، تفسيرا منطقيا لتفضيل الصغار للحكايات المتلفزة، مفاده أن تقدما كبيرا حدث في وسائط وقنوات أفلام الأطفال خلال السنوات الماضية. وأضافت لـ"العرب" أن تطور شركة "نتفليكس" مثلا لعب دورا مهما في انتشارها داخل الدول العربية، بعد تخصيصها لعروض متميزة ومشوقة للأطفال ونجاحها في صياغة أكثر من وسيلة للتفاعل معهم عبر منحهم المشاركة في تحديد نهايات القصص، واختيار أحداثها أحيانا، لذلك باتت مفضلة لدى العديد من الأسر من الحكايات المتوارثة بشكلها التقليدي.

وأوضحت أن الجدات رغم قربهن من الأحفاد، ومحبتهن الطاغية، غير متواجدات بشكل دائم مع الصغار، ولا يلتقين بهم إلا في الزيارات النادرة، لذا فالصغار يعتادون الوصول إلى القصص عبر الوسائط الإلكترونية بسهولة، ما يجعلها أميز من قصص الأهل والأقارب والجدات.

ولفتت إلى أن الوسائط التكنولوجية المتنوعة تمنح الصغار حق الاختيار بين قصة وأخرى، بناء على الاسم أو الشخصية، بينما يفقدون حقهم في اختيار القصص المروية عبر آخرين.

ولا يعني ذلك أن القصص المروية من شخوص قريبين منهم مرفوضة تماما من الأطفال، فمازال هناك من يشعرون بحميمية وقرب إنساني في الاستماع إلى قصص الكبار، غير أن ذلك صار ضئيلا ومقتصرا على مجتمع الريف، وثمة من يرون أن الحكايات تمثل استرجاعا من الجدات أنفسهن لذكريات اندثرت وأزمنة ولت لا تفيد أفراد الأسرة الصغار أو تساهم في تنمية الحس النقدي.

وكشفت نوال أحمد، وهي تعمل أخصائية اجتماعية في إحدى دور رعاية المسنين بالقاهرة، لـ"العرب"، أن الكثير من الجدات يستعدن ذكريات جميلة عند سردهن قصصا لأحفادهن أو حتى لأي شخوص آخرين. وتابعت "الحكاية تعيش في خيال الجدات بشكل أكبر، وتمنحهن شعورا خفيا بالحنين لزمان أحببنه وشخوصا أثروا في وجدانهن وتركوا بصماتهم، وهو ما يجعلهن راغبات في نقل هذه المشاعر إلى الأطفال".

ورأت أن الخيال في هذه الحالة يحقق للأجداد والجدات بعض الرضا، حيث يتيهون فيه بعيدا عن هموم الشيخوخة والأمراض المزمنة والوحشة من الفراغ، وهو عنصر يساعد على الاستقرار داخل جدران الأسرة الكبيرة.

لمن أشكو كآبتي

نهى الصراف
كاتبة عراقية

مثل تتابع الأحداث في حياتنا الواقعية، هكذا تبدو الأشياء في حياتنا الافتراضية التي صنعها لنا بشر مثلنا بالطريقة ذاتها التي يرمون فيها مزحة في الطريق.. التقطنا المزحة وصرنا نلهو ونمرح بها بدهشة وانفعال كبيرين، ننقلها بين كفي يدينا مثل كرة صوف أو قطعة خبز ساخنة خرجت لتوها من الفرن.

لدينا أصدقاء افتراضيون وعالم يشبه الواقع، فيه من الفرح القليل ومن الكوابيس الكثير.. بعضه نمر عليه مرور الكرام وبعضه نتوقف عنده نتأمل.. نتألم، ثم نعد الساعات والأيام على أصابعنا فتختفي الأشياء بكل تفاصيلها حتى تلك التي تألمنا فيها، فتعود حياتنا اليومية إلى سيرتها الأولى.

مات عبدالستار هذا الأسبوع؛ صديقنا الافتراضي الذي قضى سنواته الخمس الأخيرة وهو يشاركنا تفاصيل حياته اليومية بعدما فقد ولديه في حادث تفجير إرهابي في بغداد قرب محل سكنه.. هكذا ببساطة، تحولت حياته من واقع إلى موت مؤجل.. عاش على مضض يتنفس ويتناول طعامه وينام مثل بقية الناس الذين يصادفهم في الشارع، لكن حياته كانت افتراضية غير حقيقية بعد أن عذبه السؤال الذي كان يمر على لحظاته مثل خيط برق، سريعا وخاطفا "شيء غريب.. مات الاثنان في يوم واحد!".

كنا نراقب صورته على مدى أشهر وسنوات وهي تذوب، ينحت المرض والألم والهزال معالمها فلا يبقي منها سوى عينين نافرتين فيهما سؤال وشكوى لم ينقطعا منذ ذلك النهار، وكأنه يخاطب نفسه "أولادي ماتوا ومازلت على قيد الحياة، هل يعقل هذا؟".

تحولت مجموعة من أصدقائه الافتراضيين إلى واقعيين بعد أن التقوا به أو استقبلهم في منزله.. ومن تبقى منهم اكتفوا، مثلي، بترك كلمات التعزية الرقيقة، كرد فعل إلكتروني على صورة ولديه التي كان يكرر نشرها على صفحته في الفيسبوك.

> لدينا أصدقاء افتراضيون وعالم يشبه الواقع فيه من الفرح القليل ومن الكوابيس الكثير بعضه نمر عليه مرور الكرام وبعضه نتوقف عنده نتأمل

تعاطفنا معه حتى آخر منشور وصورة، كنا عاجزين عن مواساته لكننا أنصتنا له.. بعضنا شغلته همومه الخاصة عن متابعة تفاصيل حزنه.. بعضنا أصابه الضجر.. لكنه كان يعود بصورة ولديه في كل مرة وكأنه يحمل نصل سكين يخدش بها مشاعرنا الساكنة، ليوقظها من سباتها المؤقت.

عبدالستار كان يشبه كثيرا "الحوذي أيونا"؛ بطل قصة تشيخوف (لمن أشكو كآبتي).

الحوذي الذي كان يشعر بكآبة خانقة بعد أن تلقى خبر وفاة ابنه الوحيد ولم يستطع أن يتقبل رحيله.. فكان دائم البحث عن الناس ليشاركوه حزنه ووحدته التي كانت تتضاعف في كل دقيقة.

كان، كما وصفه تشيخوف، "أبيض تماما كالثلج.. لا يخرج من حلقه شيء سوى الفحيح" وهو يحاول إخبار أحد زبائنه "أنا يا سيدي .. هذا الأسبوع يعني.. ابني مات". فيجيبه الراكب متذمرا "هيا سر.. بهذه الطريقة لن نصل ولا غدا. عجّل!".

في الطريق، يلتفت الحوذي للراكب عدة مرات.. "لكن الأخير كان قد أغمض عينيه وبدا أنه غير راغب في الإنصات".

ثم يحاول أن يتحدث إلى راكب جديد وهو يردد "أصلا أنا.. هذا الأسبوع يعني.. ابني مات".

فيجيبه الآخر بنفاد صبر "كلنا سنموت.. هيا عجّل!".

تدور عيناه مجددا بقلق وعذاب بين الجموع في الشارع.. ويقول في نفسه "ألن يجد في هذه الآلاف واحدا يصغي إليه؟" .. "لو أن صدر أيونا انفجر وسالت منه الوحشة فربما أغرقت الدنيا كلها!".

يواصل تشيخوف سرد القصة "عما قريب، يمر أسبوع منذ أن مات ابنه.. بينما لم يتمكن حتى الآن من الحديث عن ذلك مع أحد كما يجب.. ضروري أن يتحدث بوضوح.. ينبغي أن يروي كيف مرض ابنه، كيف تعذب، وماذا قال قبل وفاته وكيف مات".

الفارق البسيط بين حوذي تشيخوف وصديقنا عبدالستار، أن الأول بعد أن فشل في جعل واحد من الآلاف يستمع إلى قصته، توجه إلى حصانه وبدأ يبثه شكواه.. أما عبدالستار فلم يجد غير لوحة مفاتيح صماء.. لوحة مفاتيح فيها الكثير من حروف العلة وعلامة تعجب واحدة!

الآباء الأكبر سنا ينجبون أطفالا أقل عدوانية

أمستردام – كشفت دراسة هولندية حديثة أن الأطفال الذين يولدون لأمهات وآباء أكبر سنا وأكثر نضجا يميلون لأن يكونوا أقل عدوانية ويتصرفون بشكل أفضل من الأطفال المولودين لأبوين أصغر سنا.

وتوصل المشرفون على الدراسة إلى أنه على الرغم من أن الأطفال المولودين لأبوين أكبر سنا لديهم سلوكيات خارجية أقل إشكاليات، مثل العدوانية، إلا أن عمر الوالدين لم يكن له أي تأثير على السلوكيات الداخلية للأطفال، مثل القلق أو الاكتئاب.

وحلل الباحثون سلوك أكثر من 32800 طفل هولندي عندما كانت أعمارهم تتراوح بين 10 و12 عاما، وينتمون إلى فئات اجتماعية واقتصادية مختلفة.

وسلطت الدراسة الضوء على المشكلات السلوكية الشائعة لدى الأطفال المولودين لأبوين أكبر سنا، في إطار نهج تتبعه مجمل الدول المتقدمة في السنوات الأخيرة لمتابعة الأزواج الذين ينجبون طفلهم الأول في وقت متأخر من العمر.

وتراوحت أعمار الأمهات في الدراسة بين 16 و48 عاما، بينما كان عمر أصغر أب 17 عاما، والأكبر سنا 68 عاما.

وأوضحت الباحثة الرئيسية في الدراسة، ماريبل زوندرفان زوينينبرغ، من جامعة أوتريخت، أنه لا يوجد أي داع لأن يشعر الآباء الأكبر سنا بالقلق إزاء العمر عند إنجاب طفل، عندما يتعلق الأمر بالسلوكيات الخارجية، وبينت قائلة "في ما يتعلق بمشاكل السلوك الشائعة، لم نجد أي سبب يدعو الوالدين المستقبليين إلى القلق بشأن التأثير الضار لإنجاب طفل في سن أكبر".

وتوصلت دراسات سابقة إلى أن الآباء الأكبر سنا هم الأكثر عرضة لإنجاب أطفال مصابين بالتوحد أو انفصام الشخصية، وهو ما دفع المشرفين على الدراسة إلى معرفة ما إذا كان هناك ارتباط بين سن الوالدين ومشاكل السلوك الشائعة لدى الأطفال.

وبينت دورت بومسما أستاذة علم النفس الوراثي والسلوك البيولوجي في جامعة فريجي بأمستردام، المشاركة في الدراسة قائلة "من المحتمل أن يكون السبب في أن الآباء الأكبر سنا لديهم أطفال يعانون من مشاكل سلوكية أقل، هو أن أولئك الآباء لديهم موارد أكثر ومستويات تعليم أعلى".

يشار إلى أن الجمعية الألمانية للغدد الصماء كشفت في وقت سابق أن تقدم عمر الأب يرفع خطر إصابة الطفل بالأمراض أيضا، وليس فقط تقدم عمر الأم. ونبهت إلى أن الدراسات توصلت إلى وجود علاقة بين تقدم عمر الأب فوق سن الـ45 عاما وإصابة الطفل بأمراض مثل التوحد والشيزوفرينيا، فضلا عن خطر حدوث ولادة مبتسرة.

وشددت دراسة أجرتها جامعة روتجرز الأميركية على ضرورة أن ينجب الرجال قبل بلوغ سن الـ35، لتجنب خطر إلحاق الضرر بصحة زوجاتهم وأطفالهم. وتوصل الباحثون إلى أن الرجال، مثل النساء، يمكن أن تكون لديهم ساعة بيولوجية موقوتة.

وكشفت الدراسة بعد مراجعة 40 عاما من البحث المستمر، عن أن الرجال، الذين تزيد أعمارهم عن 45 عاما أقل خصوبة نسبيا، مع ارتفاع خطر إصابة الزوجات بارتفاع ضغط الدم المرتبط بالحمل، ومرض سكري الحمل والولادة قبل الأوان.

وأكدت أن أطفال الآباء الأكبر سنا، أكثر عرضة للولادة قبل الأوان أو الموت في الرحم، إلى جانب ضعف صحتهم العامة والمعاناة من مشكلات القلب، والعيوب الخلقية.

وأشار الباحثون إلى أن سبب هذه التأثيرات السلبية هو الانخفاض الطبيعي في مستويات هرمون التستوستيرون، مع التقدم في العمر، ما يشير إلى أن الحمل المبكر أو تخزين الحيوانات المنوية لاستخدامها لاحقا، يمكن أن يقلل من المخاطر الصحية للأم والطفل. كما بينت أن الرجال الأكبر سنا يعانون من مشكلات الخصوبة، حتى لو بلغ عمر زوجاتهم أقل من 25 عاما.